المقدمة

الحمد لله الطيب اللطيف، وصلى الله على التقي العفيف، نبينا محمد، أما بعد، فإننا في زمن عصف بالفتن، إذ نصبح على شبهة، وننام على شهوة، صدق من وصف المؤمن فيه بأنه كالقابض على جمر[1]، ودُمرت العفة باسم التحرر، وأصبح الحجاب رمزًا للرجعية، فضلًا على القرار في البيت، ولأن العفة من ضروريات الشريعة التي حفظتها، يدل على ذلك الكم الكثير من الأدلة.

ولي هدف آخر من وراء هذه القصة بالذات؛ يتجلى في أن قضية العفة والأمر بها، والحرص عليها من الأمور المتفق عليها عند جميع الأنبياء، ما يجعل الإنسان يجزم بأن التبرج الغربي الموجود يخالف حتى شريعة موسى وعيسى عليهما السلام «وكانت الكنيسة تردد ما قالته الأساطير الإغريقية من أن المرأة هي سبب الشر في الأرض، وهو ما عمقته التوراة المحرفة، بجعلها المرأة سببًا في إغواء الرجل والوقوع في الخطيئة، وبقيام الثورة الفرنسية بدأت الشرارة الأولى في القضية التي سميت (قضية المرأة)»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٣/٤) برقم (٤٣٤١)، والترمذي (٢٥٧/٥) برقم (٣٠٥٨) وقال: حسن غريب.

(٢) العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ٢١.

ومن يتابع بعض الكتابات يجد أنها بدلًا من أن تُقِرَّ بأن الاختلاط والتبرج على خلافِ الأصل والفطرة البشرية، وعلى خلاف دعوة الأنبياء جميعًا، فإنه يعاند الفطرة السليمة ويدعي أن الاختلاط متماشٍ مع هذه الفطرة.

وليته حاول دراسة هذه الظاهرة على ضوءِ متطلبات العصر وتنزيل الحاجيات منزلة الضروريات، لكننا نفاجأ من بعض الكتابات، أنها تتجاوز الإقرار بالذنب إلى تشريع التبرج والاختلاط وموافقته فطرة الحياة التي خلقها الله، وأبدعها!!

وهذا انتقال من إبطال الحق إلى محاولة إحقاق الباطل، كما قال الله سبحانه وتعالى عن المنافقين: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

والأمر بالمنكر يقتضي المنافحة عنه، وجعله معروفًا، والتمسك بالمتشابه من الأدلة، ورفع الشبهات لتكون في مصاف الأدلة، وقد تخوف النبي ﷺ من المنافق عليم اللسان[1]؛ وذلك لأن المنافق عليم اللسان ينكر الحق، ويحق الباطل من خلال تحوير الأدلة، وضرب الأدلة بعضها ببعض، فمن سمعه اغتر بكلامه؛ لأنه يتكلم بما يعرف الإنسان من الأدلة، ويأخذ المشتبهات، ويترك المحكمات، فمن هنا خافه النبي ﷺ على هذه الأمة، وهو من هذه الناحية يكون أخطر من الكافر والمشرك، والكافر أخطر منه باعتبارات أُخر.

(١) أخرجه أحمد من طريق عمر بن الخطاب (٣١٠) وابن حبان في صحيحه (٨٠) والطبراني في الكبير (١٤٩٩٥) من طريق عمران بن حصين، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١٣).

ومن هذه الموضوعات التي خاض فيها علماء اللسان من المنافقين: الاختلاط والتبرج، ومدار أدلتهم على ما يأتي:

١ـ الاستدلال بالمتشابه من الأدلة[١].

٢ـ ما ورد قبل نزول الحجاب، وإنكارُ نسخه بحجة أنه لم يرد فيه تأريخ!

٣ـ حالات عينية لها حكم خاصٌ لاعتباراتٍ خاصة[٢].

٤ـ تخصيص أدلة الحجاب والقرار في البيت بأمهات المؤمنين[٣].

مع أن مثل هذه القضية التي يعتبر عليها قوام الحياة الاجتماعية، وأساس التعامل بين الجنسين، لا يمكن أن يستدل لها بأدلةٍ أفرادٍ وروايات قليلة جدًّا، وإنما اللائق بها أن يَجتمع في الدلالة عليها منطوقُ الأدلة، ومفهومُها، وصريحُ الآيات ودلالاتها، بل حتى الاستنباطات الثانوية من الآيات تؤيد ذلك، وإثباتًا لهذه القضية؛ أحببت أن أذكر مظاهر العفة في قصة المرأتين مع موسى عليه السلام، وقد قسمت بحثي إلى خمسة مباحث، كما يأتي:

- المبحث الأول: تعريف العفة.
- المبحث الثاني: متعلق العفة.

---

(١) مثل الأدلة التي فيها تكليم النساء للنبي ﷺ وسؤالهن عن الأحكام، وتعليمهن أمور الدين.

(٢) مثل حديث الفضل في نظره للخثعمية وهو في الصحيحين، وهي إما لفظةٌ شاذةٌ، أو حالةٌ عينيةٌ لها تخريجٌ خاصٌ، فلا يناسب تعميم حكم عام على الأمة برواية وردت تكلم العلماء كثيرًا فيها، فلا مناسبة بين الحكم وموطن الاستدلال.

(٣) والحق أن أمهات المؤمنين تخصهن بعض الأحكام، ونساء المؤمنين يشابهنهن في كثير من الأحكام، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

- المبحث الثالث: تفسير الآيات من سورة القصص.
- المبحث الرابع: مظاهر العفة في قصة المرأتين مع موسى عليه السلام، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: عفة المرأتين مع موسى عليه السلام.
  - المطلب الثاني: عفة موسى عليه السلام مع المرأتين.
- المبحث الخامس: مقومات العفة.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتقبل جهدي المتواضع، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأسأله سبحانه أن يجعله في ميزان حسنات والدي يرحمه الله، وليس ذلك على الله الكريم بعزيز؛ فإن الولد من كسب أبيه.

وأشكر الأخ الفاضل الشيخ: خليف بن هيشان العنزي على تكرمه بتنقيح وتدقيق وإخراج الكتاب، وأسأل الله ألا يحرمه الأجر، وأن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

عقيل بن سالم الشمري

عضو هيئة التدريس بجامعة المجمعة